جامعة الفيوم

كلية الآداب

قسم اللغة الإنجليزية

كسر حاجز الصمت في روايات ما بعد الاستعمار: تحليل العلاقة بين المُسْتَعْمِر و المُسْتَعْمَر في رواية يحر سارجسو الواسع لجين ريز ورواية الأشياء تتداعى لتشينوا أتشيبي و نظيرتيهما من الروايات البريطانية

رسالة ماجستير

إعداد

فاطمة حمدي عبد الجواد محمد

مقدمة إلى

قسم اللغة الإنجليزية و آدابها بكلية الآداب جامعة الفيوم

إشراف

الأستاذ الدكتور محمد يحيى محمد حسن
أستاذ الأدب الإنجليزي
كلية الآداب
جامعة القاهرة

الدكتورة منال أنور بعيزق
مدرس الأدب الإنجليزي
كلية الآداب
جامعة الفيوم

٢٠١٢

ملخص

يهدف أدب ما بعد الاستعمار إلى تحطيم القوالب العنصرية، التي صُورَ فيها "الأخر" في الأدب الأوربي الاستعماري الذي دأب على تصوير الشعوب المستعمرة من وجهة النظر الاستعمارية التي لا ترى فيهم سوى شعوباً بدائية و همجية و لا حضارة لها. فهذه الأعمال الأوربية ليست إلا نتاج نظرة خارجية غير متعمقة. و يسعى كتاب ما بعد الاستعمار أساساً إلى كسر حاجز الصمت بإعطاء هؤلاء المهمشين الفرصة للحديث عن أنفسهم بعد أن تم عرضهم بشكل سيء في الكتابات الاستعمارية. و من الاستراتيجيات التي يستخدمها أدباء ما بعد الاستعمار إستراتيجية إعادة كتابة الأعمال الأدبية التي كتبت من وجهة نظر المستعمِر حيث يقوم الكاتب بإعطاء الطرف الأخر الذي تجاهله المستعمِر الفرصة للتعبير عن نفسه و طرح القضية من وجهة نظرة هو.

و تهدف هذه الدراسة إلى تحليل العلاقة بين الاستعمار و الشعوب المستعمرة و لكن ليس من وجهة نظر المستعمِر كما اعتاد الكتاب الأوربيون أن يفعلوا في كتاباتهم و لكن هذه المرة،ستكون الدراسة من وجهة نظر الشعوب التي قهرها الاستعمار و ذلك من خلال عمل دراسة تحليلية لنموذجين من روايات أدب ما بعد الاستعمار، و هما رواية الأشياء تتداعى لتشينوا أتشيبي (١٩٥٩) و رواية بحر سارجسو الواسع لجين ريز (١٩٧٦٦)، و نظيرتيهما من الروايات الإنجليزية: قلب الظلام (١٩٠٢) لجوزيف كونراد و جين إير (١٨٤٧) لتشارلوت برونتي على الترتيب.

و تنقسم الدراسة إلى مقدمة و أربعة فصول و خاتمة. في الفصل الأول "قلب الظلام: قراءات نقدية في ضوء نظريات الاستعمار و ما بعد الاستعمار"، تتعرض الدراسة لموقف كونراد المتناقض نحو الاستعمار و الشعوب المستعمرة. و يتناول الفصل الثاني "الأشياء تتداعى: الأفارقة و الأوربيون من وجهة نظر المُسْتَعْمَر" طريقة عرض أتشيبي للوجه الحقيقي للشعوب الأفريقية: ثقافتهم و لغتهم و معتقداتهم و موقفهم من التغيير. أما الفصل الثالث "جين إير: الذات الإنجليزية السامية في مواجهة الأخر الأجنبي المتدني"، فيعرض الطريقة التي رسمت بها شخصية المرأة الكاريبية، و التحليلات المختلفة للدور الذي تلعبه في ضوء علاقتها بالشخصيات الإنجليزية الأخرى، في إشارة إلى الصمت المطبق الذي يخيم على ماضي هذه المرأة. و يتناول الفصل الرابع "بحر ساجسو الواسع: أنطونيت كوزوي في جزر الكاريبي و بيرثا ميسين في المنزل الإنجليزي"، ماضي المرأة الكاريبية و كيف انتقلت من عالم العقل إلى عالم الجنون، و

ذلك من خلال حديث المرأة عن نفسها، و عرضها للظروف و الأحداث التي مرت بها حتى انتهى بها الحال سجينة في ذلك المنزل الإنجليزي بجين إير.

و قد خلصت الدراسة إلى أن معظم القراءات النقدية للروايات الأوربية لم تقدم رؤية واضحة و شاملة للدور الذي يلعبه الأخر فيها، فاتجاه السيرة الذاتية يحلل قلب الظلام في ضوء الخبرة الواقعية التي مر بها كونراد في بلاد الكونغو، بينما التحليل النفسي للرواية يراها رحلة داخل النفس البشرية لاكتشاف الرغبات الممنوعة المكبوتة في الجانب المظلم للنفس، و هو تحليل ظهر فيه المستعمر الأوربي كما لو كان ضحية لتلك البيئة البدائية الهمجية. أما القراءة الاستعمارية لقلب الظلام فترى فيها أفضل نقد للاستعمار كتب على مدى العصور. غير أن هذه القراءات النقدية المختلفة مع ما لها من قيمة، قد تجاهلت الخلفية التاريخية و الجغرافية للرواية، بالإضافة إلى اللهجة العنصرية التي تبناها الكاتب و التي تظهر بوضوح عند الحديث عن القارة الأفريقية و شعبها. و في ضوء ذلك، تقدم الدراسة قراءة لرواية قلب الظلام في ضوء نظرية ما بعد الاستعمار تأخذ في اعتبارها تلك التفاصيل التي تجاهلتها القراءات النقدية المختلفة مع مراعاة السياق الزمني و الثقافي للرواية و الكاتب، و تخلص إلى أن كونراد ليس أفضل من انتقد الاستعمار الأوربي، غير أنه ليس أيضاً ذلك العنصري المتشدد البغيض كما وصفه أتشيبي و إنما هو رجل من عصره قد اجتهد في نقد أيديولوجية الاستعمار و لكنه كان متأثراً بالأفكار العنصرية حول الأجناس الأخرى و التي كانت شائعة في ذلك العصر.

و بتحليل جين إير، وجدت الدراسة أن اتجاه التحليل النفسي و الاتجاه النسائي قد وجدا في دور المرأة الكاريبية تجسيداً للجانب المظلم في شخصية جين و الذي يعبر عن ثورتها و غضبها ضد الأوضاع المتردية للمرأة في العصر الفيكتوري. غير أن هذا التحليل قد تجاهل أيضاً الخلفية العنصرية لهذه المرأة. و في ضوء ذلك قدمت الدراسة قراءة للرواية في ضوء نظرية ما بعد الاستعمار، و التي رأت أن المرأة الكاريبية المجنونة بيرثا ميسين، تلعب دور الأخر المتدني، لإثبات رفعة و سمو الأنا الإنجليزي، كما أنه قد ظهر أن العلاقة بين روتشيستر و بيرثا ليست علاقة بين رجل و امرأة، و لكنها علاقة رمزية بين المُسْتَعْمِر و المُسْتَعْمَر.

و بتحليل تلك النظرة العنصرية للآخر في قلب الظلام و جين إير، فقد مهدت الدراسة لاستعراض روايات ما بعد الاستعمار التي كتبت للرد عليها و فيها حدث تبادل للأدوار بين الشخصيات. ففي الأشياء تتداعى، أصبح الأفارقة- و ليس الأوربيون- هم محور الاهتمام، كما أن الشخصية التي تروي الأحداث هي شخصية أفريقية و ليست أوربية. و يحاول "أتشيبي" في روايته إعادة رسم صورة حقيقية لقارة أفريقيا و شعوبها منطلقاً من تاريخ نيجيريا و ثقافتها و

أحوالها الاجتماعية قبل وصول القوى الاستعمارية. و تعكس الرواية الانهيار التدريجي للثقافة عند مهاجمتها من قبل ثقافة أخرى.

أما في بحر سارجسو الواسع، فقد قامت "ريز" بكتابة تاريخ تلك الشخصية الثانوية في جين إير و ذلك في محاولة لتبرير حالتها العقلية غير المتزنة. ففي جين إير، لم تكلف الروائية نفسها عناء استدعاء هذه المرأة للحديث عن نفسها، فكل ما يعرفه القارئ عن هذه المرأة منقول من وجهة نظر الآخرين، فهي الزوجة الأولى ل"روتشيستر"، و التي خدع بالزواج منها في جامايكا عندما كان شاباً، و بعد ذلك اكتشف أنها مريضة عقلياً. و في نهاية الرواية، تقوم المرأة بإحراق المنزل و تقفز من أعلاه فتموت، فرواية" برونتي" تبرز جانباً واحداً من القصة و لا تعطي الأخر الفرصة للحديث عن نفسه، و هذا هو دائماً حال المستعمِر الذي اعتاد تشوبه الحقائق لصالحه، و إن لم يتعمد ذلك، فإنه لا يكلف نفسه عناء الاستماع إلى الجانب الآخر، و من ثم، فقد قامت "ريز" في بحر سارجسو الواسع بنقل محور الاهتمام من الشخصية الإنجليزية الرئيسة إلى الشخصية الكاريبية الثانوية، و في حين بدا "روتشيستر" كما لو كان ضحية زوجته المجنونة في الرواية الأوربية، فإن "ريز" جعلت الزوجة هي الضحية و أعطت القارئ الفرصة لتتبع تدهور حالتها العقلية و العاطفية و من ثم التعاطف معها و اعتبارها ضحية كثير من الظروف و العوامل التي كانت خارجة عن إرادتها. و هكذا كشفت "ريز" ما كان مختفياً خلف الستار. و هنا تظهر أهمية إستراتيجية إعادة كتابة الأعمال الاستعمارية في إعطاء كل ذي حق حقه، إذ أن الانطباعات عن الشخصيات و الأحداث تختلف حتماً عندما تروى الواقعة من وجهة نظر شخص أخر.